



هل الأمة العربية في حالة حرب؟ نعم، العرب في حالة حرب. أو بالأحرى، نحن في حالة احتراط طائفي. مذهبي فرض علينا. لكن لا نريد أن نعرف. لا نريد أن نصدق. دول عربية تعرف. ولا تريد أن تعرف. دول عربية لا تعرف. ولا تريد أن تعرف!

لماذا نحن بينَ بينَ؟!

لأن الإعلام يكتب عن أزمة. ولا يكتب عن حالة حرب. الرأي العام العربي يتبع تطورات الأزمة. يقرأ. يسمع التعليق على أحداثها «العاشرة». ومعظمها لا يعرف ثوابتها: أسبابها. جذورها التاريخية. ووجوها المتعددة.

منذ أكثر من عامين، والإعلام العربي يعلق على تطورات الأزمة. لكن ماذا عن ثوابتها وأصولها؟ لا شيء! لأن الإعلام لا يملك مراكز بحوث كافية. ولا مراجع ودراسات جاهزة. لدينا علماء اجتماع. تاريخ. سياسة. فلماذا لا نسأل هؤلاء؟!

مات أخيرا العالم العراقي عبد العزيز الدوري. كان نصيبه من اهتمام الإعلام العربي أقل من نصيب الراحله وردة (مع احترامي الكبير لفنها).

كتب الرجل. عن الشعوبية. عن المذهبية. الطائفية. عنعروبة العراق. عن الحضارة العربية. عن علاقة العراق والعرب بالفرس... سجل كل ذلك بحياد الباحث. وروح المدقق. وعمق المفكر. أدعو إلى تدريس مؤلفات الدوري وأمثاله، في كليات التاريخ. والاجتماع، على الأقل، إذا أردنا أن نعرف.

كان النظام السوري وحلفاؤه يخوضون معركة بقاء في سوريا، منذ مايو (أيار)، تحول الدفاع إلى هجوم. فقد قررت إيران خامنئي. نجاد. قادة فيالق القدس والحرس الثوري، إنقاذ وحماية المشروع الإيراني في المشرق العربي. فزجت أولا بـ«حزب الله» في الحرب.

لأول مرة، يقاتل «حزب شيعي» عربي ممول ومدعوم من إيران، أشقاء العرب السنة في أرضهم. في سوريا. فيواصل القتل المبرمج. والتدمر الممنهج للذين بدأهما النظام السوري.

في معركة احتلال حمص، يحيق الدمار بمسجد خالد بن الوليد المدفون في المدينة. ماذا تعرف عن هذا الصحابي. البطل. القائد العسكري؟

عندما اشتدت الوطأة على جيش العرب المسلمين، بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، نقل أبو بكر وعمر البطل خالد، من جبهة العراق إلى جبهة الشام.

كان ابن الوليد القائد الميداني الفذ. رأى خالد أن استكمال تعريب سوريا وأسلامتها يتطلب استنذاف الجيش الإمبراطوري البيزنطي. فركب الصحراء في مقدمة كوكبة خفيفة من الفرسان العرب. وراح يتحرك بسرعة. يظهر فجأة. ليُفاجئ. ليُغير على حاميات دمشق. حمص. حماه. ثم يختفي شبحاً في جوف بادية الشام.

عندما خسرت بيزنطة حرب المعنيات، انقض خالد مع جيش أبي عبيدة على المدن الثلاث، فاتحاً إياها الواحدة بعد الأخرى.

لم يخسر خالد معركة أو مبارزة في حياته.

عندما حرر سوريا استقر في حمص. فكرمته المدينة بإطلاق اسمه على أكبر مساجدها.

عندما أدركته الشيخوخة، راح يرثي نفسه. كان متآلماً لموته في الفراش. وليس في الميدان. ولم يكن في جسده الفولاذي موضع، إلا نالته فيه طعنة سيف. أو رمية رمح. أو ضربة خنجر. وفي احتضاره تنهد: «لا نامت أعين الجبناء».

الويل للكلاب من الصغار. ها هو صغير النظام يعلن الحرب على حمص. يشرد سكانها (أكثر من مليون نسمة). يجتمع الآلوف الباقية من سكانها المحاصرين. يدمّرها حياً بعد حيٍ. وشارعاً وراء شارعاً. ها هو يحاصر مسجد خالد بن الوليد بألف من جيشه الطائفي، وبألف من ميليشيات في إيران. والعراق. ولبنان.

أين الثوار؟! ألهتهم الغنائم في الشمال والشرق. هذا يبني إماراة إسلامية في حلب. ذاك يبني دويلة كردية على الحدود مع تركيا. الآخر يبني دولة نفطية في الرقة. ودير الزور. أين العرب؟!

إن كنتَ تدرِّي فهي مصيبة. وإن كنتَ لا تدرِّي، فال المصيبة أعظم. أين الكتاب. والإذاعات. والتلفزيونات؟ لماذا لا نكتب، خيراً من هذه التعليقات المكررة، عن تاريخ العرب في سوريا قبل الإسلام وبعد، توعية وإحياء للمعنىيات، في هذا الاحتراب الطائفي والمذهبي المُؤْتَمِ؟

مات القائد الميداني الفذ. فألح القائد الاستراتيجي عمرو بن العاص، على عمر بن الخطاب، أن يسمح له باستكمال بناء الدولة العربية. فأذن له بعد تردد. فسار عمرو إلى مصر. فتحها بسهولة. في دهاء عبقريته، آخر في الدين بين المصريين والعرب المسلمين. فدخلوا في الإسلام أفواجاً. استعربوا بسرعة. تَسَاوَفُوا مع إخوتهم العرب في الحقوق والواجبات.
ماذا تكون حال العرب، لو لم يتم تعريب مصر. تعريب هذا الشعب العريق؟

تفرّقت أسرتي في أمصار العرب. لي شقيق يعمل في الترجمة. لا في السياسة. نزح مع أسرته وأطفاله إلى مصر. ما أطيب هؤلاء المصريين. يقول لي: «حتى سائق التاكسي الكادح يرفض أن ينال أجره، عندما يعرف أنك سوري نازح».

فرق تسييس الدين بين العرب. في ذروة أزمة مصر مع «الإخوان»، فتحت مصر نراعيها لمئات ألف السوريين النازحين. تورط فُرادي منهم، في إظهار الحماسة للإخوان. فأثار حساسية وغضب المصريين. أصيب السوريون بالعدوى من أشقاءهم الفلسطينيين الذين جلبو على أنفسهم الكوارث، من التورط في السياسات المحلية والداخلية، في الدول العربية المقيمين فيها.

الدرس الأول في أدب الضيافة، أن تكون محايدها. السوريون الذين صفقوا لـ«الإخوان» وهم في ضيافة مصر،

.....

خامنئي على طريق الشاه وخمینی، في استعادة مشروع التوسيع الإمبراطوري. أرسل الشاه موسى الصدر إلى لبنان، ليسحب شباب الشيعة من الأحزاب السياسية. استكمل خمینی وخامنئي المهمة بعد الشاه.

خامنئي رجل دين وسياسة يعرف أن أكثر من مائة ألف مسلم سوري قتلوا في حرب النظام السوري. يسكت خامنئي عن المجزرة. يدعم. ويبارك حاكماً يتهم شعبه كله بالخيانة! فيذبحه. يشرده. يدمر مدنه وقراه واقتصاده. الاحتراب الطائفي والمذهبي أشد الحروب الأهلية وحشية وهو لا وبشاعة. العرب يواجهون حالة الاحتراط التي فرضت عليهم. أعداؤهم يد واحدة. والعرب أيدٍ. ودول متفرقة.

يبقى واجب الإعلام العربي، في هذه المرحلة العصيبة، توعية العرب الذين يعرفون. والذين لا يعرفون، بأنهم هم أيضاً يواجهون حرببقاء ومصير. حرباً آيديولوجية تتجاوز الحدود. والقارب. والسيارات. والاستقلالات، لتفرض انقساماً على العرب. على مستوى آيديولوجي. شعبي. طائفي. مذهبى.

بعض العرب يتذمرون. يتمسكون بأدب «الحياد الإعلامي». ما زالوا يعتقدون أن الوجود العربي في أزمة. وليس في حالة احتراط طائفي.

يعتبر اقتران العروبة بالدين أسلمة «رجعية» للعرب! بعض العرب يعتبر الدعوة للعودة إلى العروبة، كبديل للانتماءات الضيقة، مجرد دعوة عنصرية شوفينية.

وبعض العرب مع «حزب الله» الذي يرى أن مقاومة إسرائيل تفرض شن هذا الاحتراط على مجتمع عربي يعاني من حكم نظام صامت عن تهويد واستيطان الجولان منذ خمسين سنة.

توعية العرب بمهالك الاحتراط المذهبى والعنصري الذى تفرضه إيران عليهم، لا تعنى الخوض الفقهي في غيبيات المذاهب غير السنوية، إمعاناً في توسيع حرب بشعة.

غرض التوعية الإعلامية وضع المذهب السنى حيث كان ويجب أن يكون، في خدمة العروبة. وللتكييف بين الشورى والديمقراطية. وبالتالي، فالدفاع عن المذهب السنى المنفتح وغير المتردم في سوريا، هو أيضاً دفاع عن عروبتها الأصلية، وإسلامها الصحيح.

الشرق الأوسط

المصادر: